Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمين الخولي

الأعمال الكاملة

في رمضان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمين الخولي

من هدى القرآن

في رمضان

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

عقـول . . وقلوب

« قُلْ : هَذِهِ سَبِيلِي .. أَدْعُو إِلَى اللهِ ، عَلَى بَصِيرَةٍ ، أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ »

هذه أحاديث أذيعت ، في رمضان ، عن رمضان ، خلال ثمانية عشر عاماً من ١٣٦٠ هـ إلى ١٣٧٨ — ١٩٤١ - ١٩٥٨م .

وكان الرسم فى تلك الأحاديث أن يتقبلها أولئك الذين لا يعرفون الطريق إلى المعابد . يحسبون أنهم شبوا عن التلقين الإيحائى ، وجاوروا دور الغيبية المقلدة ، وفاتوا طور السداجة التى تنومها الترنيمات البدائية ، فى عباراتها الزخرفية ، الخاوية ، المحنطة .

فـكانت تلك الأحاديث موضوعات برأسها ، يدرس كل موضوع منها من نواحيه المختلفة ، فى سعة وعمق ، وحرية وصدق ، لم تنج أحيانا ، من برم أصحاب الإذاعة بأشياء فيها ، حين يفيسونها بمألوفهم من أحاديث عن شئون دينية . .

وكانت تلك الأحاديث كما رأى القـــارىء فيما نشر من غير هذا للوضوع — وكما سيرى فيه — منهجا فى فهم القرآن ، نفسياً واجتماعياً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم أدبياً فنياً ، يعتمد على الحس اللغوى لألفاظه وعباراته .. ويعمد إلى دقائق بيانه البليغ فى تراكيبه واستعمالاته ، وعن هذا الطريق يعرف مراميه ومقاصده .. ويحكم هذا المقياس فيما قال الناس من قبل ، عن تلك المرامى والمقاصد ، ويعترف بما أقره .. وينكر ما أباه .

من أجل ذلك المنهج المحكم كانت تهتف تلك الأحاديث بين الحين والحين منادية : أيتها العقول المفكرة .. أيتها القلوب المؤمنة .. تحتكم إلى العقول حين تلفت إلى ما يتقبله العقل الكبير الحر .. وتحكم القلوب حين تناجى بما يطمئن إليه الوجدان الدقيق الحساس ..

وأرجو أن يجد هؤلاء وأولئك ، فيما يقرءون اليوم من تلك الأحاديث على هدوء وهوادة ، مثل الذى رجوت أن يجدوه حين سماعها مشافهة ، بإلقاء موجه ..

إن هذا القرآن لأهل لأن يتذوق فيمتع ، قدر ما هو أهل لأن يتدبر فيقنع .. ولعل هذه الأحاديث — وغيرها من هدى القرآن — قد عرضت طرفا مرضيا من فنه .. وحكمته ؛ وإنه بعد ذلك كله لملىء بما يتذوق .. ويفهم

ولعل مثل هذه الأحاديث مفاتح لذلك الخير ..

أمين الخولى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قالوا في حكم الإسلام ... وأقول

« الصوم لفت للبشرية الى فطرتها لكيلا تطغى »

« وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » . .

أريد وصل هذه العبادة بأهداف الإسلام الاجتماعية البعيدة ، وتدبيره الأكبر للحياة ، ولو كان ذلك الوصل ، من طريق غير الذى ألف الناس تكراره وترديده.. ولا بدع فى ذلك ما دام ملتمسى ليس إلا من هدى القرآن الكريم ، ووحى نظمه البليغ . .

تحدث المتحدثون عن حكمة هذا الصوم ، فدار ما قالوه فى ذلك على أوجه .

منها : أنه تخلق بخلق من أخلاق الله تعالى ، وهو الصمدية ، على أن معنى الصمد ، الذى لا يطعم ، فالصمد من الرجال الذى لا يعطش ولا يجوع فى الحرب[1] .

(١) لسان العرب . مادة ص . م . د

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم فى الصوم كذلك التشبه ـ قدر الإمكان ـ بالملائكة المقربين بالكف عن الشهوات والخلو منها ، كما أن الملائكة منزهون عن الشهوات جميعا ..

ومن حكمته أيضاً أنه قهر للنفس ، وكسر للشهوة ؛ لأن النفس إذا ما شبعت طلبت الشهوة ، وإذا ما جاعت امتنعت عنها .

كما ذكروا من الحكمة أنه وسيلة للتقوى ، لأن النفس إذا ما انقادت للامتناع عن الحلال طمعاً فى رضاء الله وخوفا من عقابه ، فأولى لها أن تنقاد للامتناع عن المحرمات .

ثم من الحكمة كما قالوا أيضاً ، اقتضاؤه الرحمة والعطف على المساكين ، فمن ذاق ألم الجوع بعض الوقت تذكر به من يذوقه فى أكثر أوقاته .

ومن الحكمة كذلك : أن الصوم وسيلة إلى شكر النعمة ، إذ هو كف عن أشياء تعد من أجل النعم وأعلاها ، فالامتناع عنها زمنا ما يعرف بقدرها لأن النعم مجهولة ، فمتى فقدت عرفت ، فتحمل معرفة قيمتها على قضاء حق شكرها[1] .

ومن تلك النواحى وأشباهها من الحكم ، وصلوا الصوم بأغراض الإسلام العليا فى تدبير الحياة كما بدا لهم ذلك . وعلى ما فهموه منه .

أيتها العقول المفكرة . . إن المتأمل فى هذه الحكم . ليلمح فيها

---

(١) أبحاث حكمة التشريع فى كتب الفقه بأكثر عباراتها ، مع تغيير طفيف جدا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اتجاهين متضادين . . فبينا يستشف فيها نفحات فلسفية ، و يستمع لنغمات زاهدة أجنبية ، إذا به يشهد نزعة مادية استمتاعية .

فأما الأولى ففى التخلق بأخلاق الله والتشبه بالملائكة ، مما يسمع من المتفلسفين فى بيان معنى الخيروالفضيلة ، منذ زمن قديم ، و إلى جانب ذلك رياضة النفس وقهرها بالجوع ، وكسرها بالحرمان ، مما ألف فى الرياضات الهندية وأشباهها منذ بعيد أيضا ، وتلك كلها اتجاهات تجريدية روحية .

و يجاورها فيما سمعتم من الحكم ، أن ما يكف عنه الصائم من المطاعم والمشارب والمشتهيات إنما هو من أجل النعم وأعلاها يحتاج الإنسان إلى أن يعرف قدرها ، ويؤدى شكرها . وهكذا يكون الناس فى النظر الى تلك الحكم والاقتناع بها صنوفا مختلفة وميولا متغايرة . . على أنه مهما تصح تلك الحكم وتقنع من تقنعه ، ومهما تشتمل تلك الحكم على نظرات متخالفه أو متغايرة فليس هناك ما يمنع من النظر فى جديد من الحكمة وراء ما قيل . . فهل لمستمعى الكرام إلى رحلة فكرية رمضانية نلتمس فيها شيئاً من الحكمة يهدى إليه القرآن ! . .

أيها العقول المفكرة . . ما أحوج هذه الرحلة إلى قبس من ضياء البصيرة لا يضيره تكاثف ظلمات هذه الأيام ؟ وعلى ضوء هذا القبس المنير، نطوف فى أرجاء الكنز السماوى من هذا الكتاب الكريم، لندرك طرفا من حكمته فى هذه العبادة . . و إنما قبسنا هذا الهادى هو نظرة القرآن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للانسان و بشريته فى حياته على هذه الارض .

ولقد تحدثت إليكم غير مرة ، عن ذلك الإصرار العنيد الذى يظهره القرآن ، فى الاستمساك ببشرية الرسل المكرمين ، وأنهم بشر مثل سائر البشر ، ومن الحق الذى يجب الجهر به فى قوة ، أن القرآن حينما يستمسك ببشرية الرسل ، هذا الاستمساك ، إنما يقف وقوفاً حاسما فى تاريخ الحياة والحضارة ، من نواح مختلفة . . فبهذا الأصل يقف القرآن موقفاً فاصلا فى تاريخ الأديان و يبدأ بهذه الفكرة عصراً متميزاً فى تاريخ التدين الإنسانى .

و يقف القرآن بفكرته فى بشرية الرسل ، موقفاً فاصلا فى تاريخ الحياة العقلية للانسان .

و يقف القرآن بفكرته فى بشرية الرسل ، موقفاً فاصلا فى تاريخ الحرية الاجتماعية والسياسية ، و يبدأ بهذه الفكرة عصراً جديداً فى تاريخ الجهاد الإنسانى من أجل هذه الحرية .

كما يقف القرآن بفكرته فى بشرية الرسل ، موقفاً حاسما فى تاريخ الحرية الفكرية بخاصة ، و يبدأ بهذه الفكرة عصراً خاصاً فى تاريخ جهاد الإنسان من أجل تحرير العقل والتفكير ، ولئن كان بيان هذا ومثله مما لا يحمله الأثير ، ولا تنهض به الثقافة الخفيفة فإن لبيانه الحق موضعه الفسيح فى أبحاث تلك المناحى الخطيرة ، من تاريخ الحياة العقلية ، والاجتماعيه ، والسياسيه والحرية الفكرية ؛ وحسبنا هنا أن نقول :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن هذا القبس الوضاء ، من رأى القرآن فى البشرية ، وإلزام الإنسان حدودها على الأرض حتى لا يجاوزها إلا بقدر وعمل .. هذا القبس يفيض نوراً نفاذاً ، بين يدى من يريد فهم القرآن وإدراك تدبيره للدنيا ، ورياضته للخلائق ، فى هذا العالم .

أيتها العقول المفكرة . . على هدى هذا النور ، أريد لأفهم القرآن ، مقدرا أن ما عرف الناس ويعرفون ، من نواميس الحياة النفسية لهؤلاء البشر، هو المرشد الأول لهذا الفهم ، وهو العدة التى لا يستطاع الوصول بدونها إلى حقائق من معانيه يطمأن إليها . . .

وكذلك نحاول النظر فى حكمة عبادة الصوم ، بإرشاد المعارف النفسية ، وما تقرره عن اتجاه النفس ، وانتباهها إلى هذه الرغبات التى يأخذ الصائم نفسه بالكف عنها ، والحرمان منها بياض نهاره .

والمتفهمون للنفس يقولون : إن انتباه الإنسان لما حوله ، واتجاهه إليه ، يكون انتباهاً مباشراً ، واضحاً قوياً ، إذا ما كانت الأشياء المنتبه إليها مما له فائدة ذاتية فى حياته ، وأثر فى إرضاء نزعاته الغريزية ، ودفع لحاجاته الفطرية مهما تكن تلك الفائدة ، وذلك الأثر ، يسيرا أو حقيرا ، ومن هنا نرى أن الأكل ، وهو من أهم مرضيات غريزته ، وبه تندفع حاجته الماسة ، يكون الانتباه إليه انتباهاً مباشرا واضحاً . . فاذا مارا عينا إلى جانب هذا أن النفس تزداد انتباهاً إلى ما تمنع منه ، وما يحال بينها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و بينه من رغباتها ؛ وفى هذا يقول القائلون ، كل ممنوع متبرع، وأحب شىء إلى الإنسان مامنع . بل لقد سمعنا ، قول المتحدثين فى حكمة التشريع: إنه بالامتناع زماناً عن هذه الأشياء التى يمتنع عنها الصائم ، يعرف قدرها لأنها متى فقدت عرفت .

وعلى هذا فالأثر النفسى ، الذى لاينكرهو : أن فى الصوم انتباهاً إلى حاجة المرء للطعام والشراب وما إلى ذلك . . . ظاهرة تجدها فى حديث الصائمين ،إذا ما تبسطوا فى القول بغير كلفة ، وفى نسيانهم حين تسبق أيديهم إلى المطعوم والمشروب، فى غير تذكر للنية المبيته ، وفى احتفالهم بموائدهم فى رمضان يحلبون لها مختلف الألوان فى طرفى النهار .. واذن ففيم قصد المشرع إلى هذا الصوم الذى ينبه إلى الطعام والشراب ، وحاجة الإنسان إلى ذلك ؟؟

أيتها القلوب المؤمنة : أريد لألتمس الجواب عن هذا من صنيع آن نفسه،حينما يتحدث عن أكل الطعام ؛ لنعرف من وحدة سياقه الثابتة ن مدار استعماله المكرر ، لأى شىء جعل أكل الطعام علامة ؟ وفى أى ضع توخى أن يعبر به ؟ لعلنا بذلك نعرف ماذا وراء إثارة انتباه الإنسان الطعام ، وحاجته إليه من غرض ؟ .

وسنرى القرآن حين يذكر إنكار المنكرين من الناس لبشرية الرسل، أكل الطعام مظهر تلك البشرية ، ويفعل ذلك أكثر من مرة . فيقول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى عبارة المنكرين : « وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ » . فهم فى معرض الاستهانة بالرسول (ص) والتصغير لشأنه ، والسخرية من تسميته رسولا ، يقولون ما لهذا الرسول ! كأنهم قالوا : ما لهذا الزاعم أنه رسول ، إن صح أنه رسول الله فما باله ، حاله مثل حالنا ، يأكل الطعام كما نأكل ، ويتردد فى الأسواق لطلب المعاش كما نتردد ؟ ! فجعلوا أكل الطعام كالسعى على المعاش مظهرا للحاجة ، وأثراً للبشرية .

ونراه أيضاً حينما حاجهم بعد ذلك يصر على البشرية فيعبر عنها بهذه اللوازم، ويقول : «وما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ منَ المرْسَلينَ، إلاَّ أنهم ليَأكُلونَ الطعَامَ ويَمْشُونَ فى الأسْوَاقِ وجَعَلْنا بَعْضَكُم لبَعْض فتْنة ، أتَصْبرون ؟ وكانَ رَبُّكَ بَصيرا » أى وما أرسلنا قبلك من المرسلين ، إلا آكلين الطعام ، وماشين فى الأسواق .

ويرى المتصل بالكتاب الكريم ، وحدة هذا السياق القرآنى الثابتة حين تسمعه فى مقام آخر ، يسجل بشرية هؤلاء الرسل ، فيذكر أكل الطعام أيضا ، ويقول: « ومَا جعلْنَاهم جَسَداً ، لا يَأكُلُونَ الطعامَ ، ومَا كَانُو خَالِدينَ » . وهكذا يظل يجعل أكل الطعام مظهر البشرية لأنه ماجعل الأنبياء عليهم السلام ، قبل محمد غير ذوى جسد ، غيرآكلين الطعام ويجلى لك هذه الوحدة المطردة فى استعماله ، أن نسمعه يعد أكل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطعام مادة هذه البشرية ودليلها فى مقام آخر ، ونزاع آخر ، وهو النزاع على ألوهية مدعاة، قد أنكرها فأيد الإنكار بأن المدعى لهم ذلك يأكلون الطعام ، فقال : « مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ، أُنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ، ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ » .. فصرح ببعدهما عما نسب إليهما بقوله : « كانا يأكلان الطعام » لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام لم يكن إلا جسما[1] .

وهكذا يعد القرآن دائما أكل الطعام آية هذه البشرية المحتاجة على حين يعد الإطعام مظهر الألوهية ، وصورة الانعام ، يكرر ذلك مرارا فيقول على لسان إبراهيم (ص) فى وصف إلهه ، « وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ » ويقول فى إنعامه على قريش ، « الَّذِي أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » . ويميز فرق ما بين الألوهية مقابلة بالبشرية فيقول : « وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ » ، ويبكت العباد قائلا : « مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ » .

أيتها القلوب المؤمنة . إذا كانت هذه دلالة الاستعمال القرآنى لأكل الطعام على البشرية وحاجتها ، فهل يكون تشريع الصوم إثارة للانتباه

---

(١) الزمخشرى : بعض عباراته فى الكشاف ١ : ٤٢٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى ما يحتاج إليه هؤلاء البشر، تذكيرا لهم بهذه البشرية المحتاجة ، ولهذا إثارة فى نفس صائم رمضان ، كما أن له فى نفس الوقت أثره فى اخزاء المفطرفى رمضان لغيرعذر، إذ يعلن عن صفة الضعف فى بشريته ، و يسجل سمة الحاجة فى كيانه !

هل القرآن كما ترفع فى مثاليته المتسامية ففتح للبشرية آفاق السماء لتتلقى الوحى ، فى أشخاص الأنبياء ، وحين هيأ للبشرية من منازل الكمال أسمى ما تستطيعه حين ترتقى، هوالذى عمد فى واقعيته العملية إلى أخذ هذه البشرية بالصوم لتنتبه انتباها قويا لما تحتاجه ، فتشعر شعورا واضحا بحاجتها الأصيلة ، فلا تتعدى طورها ، ولا تتجاوز بالغرور قدرها ! ! .

أحسب أن ذلك، من حكمة تشريع الصوم ، معنى غير بعيد ، يؤيده واقع نفسى ، ويدل عليه هدى قرآنى ، ويؤنس به سياق متحد ، واستعمال مطرد .

أيها المؤمنون . إن الطغيان فى كل حال من أحواله تجاوز للمقدار ، واستعلاء مستكبر ، يعتز بضرب من القوة ، يدعيه الطاغية . ويطرد فى حال الطغاة ما يطرد من دعاوى روحية يدعونها ،يموهون بها على الجماهير ويغتصبون بها الإجلال والتقدير ، مخفين ظواهر بشريتهم محجبين ضعفها بحاجتها ، وقد حارب القرآن هذه الدعاوى فى عقول الناس وأعمالهم ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واليوم أشعر بالرغبة القوية فى وصل عبادة الصوم ، بهذا الهدف القرآنى الكريم فى مقاومة الطغيان . وقد سمعتم أن هذا الصوم تشريع يثير الانتباه إلى حاجة البشرية ، فيسجل ظاهرة الاحتياج على أولئك الآدميين ، فهو تشريع يقتطع من العام شهرا ، يدفع فيه الطغاة المتكبرين ، والدعاة المخدوعين ، إلى الشعور القوى ، والانتباه الحقيقى لبشريتهم وحاجتها . ويكشف

عن ذلك فيهم للناس كشفا ، يردهم جميعا إلى حدودهم . ويلزمهم طورهم »

فالصوم رياضة تنبيهية تكبت غوائل الطغيان إذ تشعر بحقيقة الآدمية ، وتصد الطاغية عن الاستكبار ، إذا ما أحس بضراعة الاحتياج .. وكل فرد مهما يكن مركزه معرض فى بيئته للون من الطغيان يجاوز فيه قدره ، نوعا من المجاوزة ، فإذا ما رده الصوم بتنبيهه المكرر إلى حاجة الإنسان إلى أكل الطعام عاد بالصوم إنسانا سويا ، قد عرف قدر نفسه . . فهى رياضة عامة متكررة تستأصل سببا بعيدا من أسباب الطغيان ، هو تجاوز حد البشرية الطاعمة الشاربة .

إنها يقظة نبه إليها حلول رمضان ، ورغبة فى وصل الصوم بكريم الأهداف ، التى يدفع القرآن إليها الدنيا ، ووسيلة من وسائل القرآن فى مقاومة الطغيان ، بأعم المعانى ، وفى أوسع الدوائر . فانتبهوا .. أيها الصائمون . انتبهوا بصومكم ، إلى أنفسكم تعتدلوا ، ولا تطغوا . . طال انتباهكم إلى هدى القرآن . وسلام الله عليكم ورحمته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى رمضان

« معى حى لنزول القرآن فى رمضان »

سلام الله عليكم ورحمته . . « يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» .

أحسبكم قد حدثتم عن الصوم غير قليل ، فأرجو ألا يكون قد أملكم من ذلك شيء ، وآمل أن يكون لكم فى الصوم نفسه عزمة ، وإرادة لا يناالها فى سبيل الخير وهن .

من هدى القرآن نظرته إلى هذه الإنسانية على الأرض ، وفكرته فى تقديرها ، ومن دأب القرآن ، أنه يعتبر أكل الطعام آية البشرية ، وعلامة الحاجة فكأنما الصوم تذكير متصل بمادية الكيان ، وضراعة الاحتياج رجاء أن يرد ذلك هؤلاء الآدميين إلى حدودهم لا يعدون أطوارهم . . كأنما الصوم ، لون من التدبير ، يأخذ الناس بواقعية عملية ، تقابل نواحى أخرى تهيئهم لما ينهضون إليه من مثالية متسامية . . وتلك الفكرة فى حكمة هاتيك العبادة رأى بين الآراء الأخرى المرددة ، وأحبب إلينا ألا يقنع التفكير الإنسانى من هذه الحكم بغاية يقف عندها ، أو يكتفى بها .

أيها المؤمنون . . إن نظرة القرآن لهذه البشرية منذ أصر على إثباتها للرسل ، نظرة لها أثر دينى ، وفلسفى ، واجتماعى ، بعيد . . حتى إنه ليتميز

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بهذا فى تاريخ التدين ، والتفلسف ، والتحرر الإنسانى ، تميزاً فريداً ، ولكنى حين ألتزم الإجمال فى هذه النواحى ، وأتركها لمكانها من الدرس والبيان لا أرضى بهذا الإجمال فى ناحية أخرى ، هى ما لهذه الفكرة القرآنية عن البشرية ، من الصلة بالأسس الكبرى ، والأصول الإسلامية البعيدة ، ولهذا أتحدث إليكم عما لهذه الفكرة من ارتباط وثيق بأصول الحياة الدينية فى نظر القرآن وكيف تقرر ؟ وكيف ينظر إليها وتفهم !

* * *

أيتها العقول المفكرة . . إذا أصر القرآن — فى تكرار — على أن الرسل عليهم السلام ، إنما هم بشر ، مثل البشر وإذا كان يهدى إلى أن الصوم رد لهذا الناس ، إلى آدميتهم ، فإن لهذا وشبهه ، دلالة بعيدة المدى على أغراض ومرامى سامية ، قصد إليها القرآن ، بهذا التقرير وذاك الهدى.

وإن المفكر المتعمق ، ليشعر أن هذا الصنيع من القرآن ، إنما هو رفع للناس ، إلى فهم هذه الحياة ، فى أفق من الوضوح المحدد ، وعلى أساس من الضبط الجلى الدقيق ... نعم فإن المتأمل المتبصر ليدرك أنه بهذا يضع الحياة الدينية على أساس من قابلية الفهم ، وتناول العقل . لا تسوده غيابات الإبهام الروحى ، ولا تزعزعه أوهام الغيبيات التى تلف الحقيقة بكثيف من الضباب ، لا تنفذ فيه نظرات الذهن مهما تطل التحديق . . وتغمرها بفروض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واحتمالات مسرفة فى اللامادية ، معتمدة على قوى مجهولة . ومؤثرات غير مستبينة .

أيتها العقول المتحررة . . ليس منك من لا يذكر أنه باسم العجائب والخارقات ، قد انتهكت حرمة النواميس وثبات النظم ، واطراد السنين .

وباسم الروحانية المتطرفة ، قد أيدت مزاعم ، واستلبت حقوق ، واغتصبت مزايا كواذب ، وروجت حماقات . .

ومن الإرهاب بالأرواح الشريرة والشياطين العابثة ، قد روعت نفوس ، وهتكت حجب ، وطوردت عقول .

وباسم السحر وتسخير القوى الخفية ، قد زعزعت قلوب ، وأقلقت خواطر ، وهدمت أسر وجماعات .

ومن كل هذه العوامل ، التى راجت فى البيئات الدينية والأجواء الاعتقادية ، بهوى وغرض ، لاستغلال واحتيال ، قد حورت حرية الفكر وسلبت سلطة العقل . . فلا مرية فى أن أشعر بالصلة الوثيقة بين تقدير القرآن للبشرية ، وبين خطته فى مطاردة هاتيك الأوهام جميعاً ، واستعلائه على تلك المفاسد بأسرها !! . .

نعم .. فإنى لأشعر ، بأن رده الرسل إلى البشرية ، وأخذه المكلفين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

برياضة من الصوم ، تستهلك جزءاً من اثنى عشر جزءاً من حياة أولئك المكلفين، يدركون فيها آدميتهم ، كل هذا متصل بالأساس ، الذى يرى القرآن أن يقام عليه فهم هذه الحياة ، وإدراك معنى التدين .

نعم.. أدرك بوضوح أن ما للقرآن من هذه النظرة إلى الإنسانية ، يتصل بما قصد إليه من العدول عن المعجزات التى تلهى الأبصار ، وتحير الحواس ، وتدهش المشاعر ، إلى اختصاص العقل بالخطاب ، وجعل حجته بهذا القرآن ،فى قوة الكلام ، وصحة الدليل،وسلطان الحجة[1] من كتاب أحكمت آياته لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

نعم ، أدرك فى وضوح أن تقدير القرآن للآدمية يتصل بما قصد إليه من رد الناس، عن الهيام بغيوب الروحية ، والبحث عنها حين قال : وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ..

وأدرك بوضوح ، أن هذه الفكرة القرآنية تتصل بما قصد إليه من هدم سيطرة الأرواح الشريرة والشياطين وما إلى ذلك ، بإسدال ستار كثيف ، يحجب الناس عن دعاوى رؤيتها ، إذ يقول عن الشيطان ، إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ.

---

(١) الأستاذ الامام — رسالة التوحيد ص ١٤٣ ط السابعة بتصرف .